الفصل السابع
مدارج الترقى الروحى للخيام فى الرباعيات

الرباعيات دعوة مفتوحة لممارسة **حرية الاختيار** التى انتهينا فى الفصل السابق إلى إبرازها كأحد أهم أركان فلسفة الخيام التى يطرحها من خلالها. ولا يحسبن القارىء أن الخيام كبعض الفلاسفة الذين اشتهروا باستحداث تغييرات فى مذهبهم بحيث يمكن احتسابهم من ذوى المذهبين – مذهب يشرحه فى الرسائل الفلسفية، وآخر يبشّر به من خلال الرباعيات. ولا ينبغى أن تذهب ظنون القارىء إلى أن الرباعيات ليست من الأعمال الفلسفية، فالواقع أن الكثير من الأعمال الشعرية كان بمثابة كتيبات فى الفلسفة.

والخيام فى الرباعيات يمارس **حرية الاختيار** فى نطاق التكليف، ويؤكد عليها، ويبدو من خلال الصور الشعرية والأفكار التى يقدمها كذات تبحث عن نفسها، وتعيش فى الحقيقة، وترفض الواقع الإنسانى، وتُنشِد للإنسان.

ولعل من أبرز سمات الرباعيات الروح النضالية التى تتشعشع فيها، والرغبة المستعرة عند الخيام أن يتيح لذاته أن تحقق ممكناتها. وتتوالى المواقف التى تتواجه فيها ذاته مع المطلق، ومع العالم. وتعكس الرباعيات صراعاً رهيبا يعيشه الخيام بين الواقع والمثال، وبين اللحظة التى يعيشها وزمانه الوجودى كله، وبين العلم والإيمان، ويبدو في صورة المجاهد المتأبِّى على الهزيمة، والمغروسة قدميه فى الطين وعيناه مشرئبتان إلى السماء. وما أبعد أن تكون اللذة المدّعاة، أو الهناءة المزعومة، أو الخلاعة المنحولة عليه هى هدف الرباعيات.

ويكتشف القارىء المتأنّى أنه فى الرباعيات إزاء **ثلاثة أقسام أو مستويات فكرية** تمثل خطاً بيانياً لحياة الخيام الوجدانية والذهنية وتكوّن معاً **معراجاً روحيا** للخيام فيه مدارج ارتقائية ثلاثة.

ولعل ذلك أيضا ما لاحظته **الدكتورة مريم زهيرى** فى كتابها الصغير جداً **«نظرة جديدة فى رباعيات الخيام»** فقد تبين لها أن الرباعيات كخليط من الأفكار المنسجمة أحيانا، والمتعارضة أحيانا أخرى، تعكس مراحل عدة من تفكير الخيام، ربما تبدأ بالحيرة والشك وتنتهى بالمناجاة فى المرحلة الأخيرة، وهو فى كل المراحل صادق مع نفسه يعبر عما يعتلج فى صدره من مشاعر بإخلاص ودقة شديدين.

وقد تكون **الدكتورة مريم** على حق فيما تذهب إليه، ولكن الرباعيات لا ينبغى أن ننسى

أنها كعمل فنى ربما لا يكون الشاعر مطالبا فيها بأن يصدُق مع نفسه الصدق الأخلاقى بقدر ما يكون المطلوب كذلك أن يصدق مع نفسه فنياً. ولعل ذلك يجرنا إلى الحديث عن القسم الأول من أقسام الرباعيات الثلاثة، حيث هذا القسم يتصل مع الصدق الفنى الذى نقول به بوشائج متينه، فالجمال والفن توأمان.

ولعلها نقلة كبيرة تطلّبت من الخيام جهداً ضخماً أن يتنكب الرياضيات فى الجبر والهندسة والفلك، وينخرط فى الفلسفة، ثم يحاول كالوجوديين أن يطرح فلسفته من خلال عمل إبداعى فنى كالرباعيات. وكان طبيعيا أن يكون المدرج الأول من مدارج ارتقائه الوجدانى والروحى هو المدرج الجمالى الذى يضمه القسم الأول المفترض من الرباعيات.

وهذا القسم يتحدث فيه الخيام عن جماليات الطبيعة والحب والشباب والشعر. وتكثر فى رباعيات هذا القسم ألفاظ مثل طيور الربى، والروض، والفراشات، والديك، والهزار، وزهر الربى، وزهور الربيع، وغناء البلبل، والشمس المشرقة، والندى، وخرير الماء، ونسمة الصباح، وهبّات النسيم، ورجْع الطيور، وأوراق الشجر المنثورة، والبدر، والليل والأنجم، وأزاهير المنى، والخضرة، وبساط الروض، ونار الهوى، وفاتر الحب، والعشق، وسِفْر الشباب، وطير الصبا، وفوْت الشباب، وبستان الأيام.

والجمال فيما تأمّله الخيام، له عنده معنى خاص لأنه فيلسوف. والجمال خاصة باطنة فى الأشياء، وله لذه يستشعرها الخيام بشكل حاد كفيلسوف مسلم.

وكان أرسطو يقول إن الجمال خاصة صورية وصفها بأنها الوحدة التى يتبدّى عليها الشىء الجميل، والتى تضم داخلها تنوعاً واختلافاً فى كلٍ واحدٍ منسجم.

وأما الخيام فلأنه مسلم مشغول بقضايا إلهية من صميم التفكير الإسلامى فإن الجمال عنده، طالما أن الروح تشرئب إلى السماء، هو مجلى من المجالى الشهودية لله تعالى، وهو تلك الحياة التى وهبها الله لمخلوقاته ونفخ فيها من روحه، ومن ثم فالشىء الجميل عند الخيام هو الذى يشّع بالحياة - صدح الطيور - صفاء الماء - رقة النسيم - إشراقة الوجه - تَوجُّع الناى - وتَحنُّن الرباب.

ولو كان الجمال فى التناسق لتعادل الوجه الإنسانى المشع بالحيوية والوجه المنطفىء المحروم من الحيوية، فكلاهما فيه خاصية الانسجام بين التفاصيل، لكن الوجه المشرق هو الذى يحركنا إليه. ويصفه الخيام بالفاتن. يقول:

وتعذُب الشكوى إلى فاتن * على شفا الوادى الخصيب اليَنيع

وأكثر من ذلك يفرّق الخيام بين جمال وجمال، والأول قد يحرك الشهوة أو قد يبُهج المتأمل ويسعده ويرضيه، والثانى قد تكون له عظمة ويرهب المتأمل، فهو الجميل الجليل، وهو الذى يثير احترامه، وقد يرقى هذا الاحترام لدرجة التقديس.

والجميل عادة غير معقد، وجماله واضح ومحسوس، والجليل غامض ومعقد وإدراكه له بالحدس.

ويضرب الخيام مثلا للجميل بزهور الروابى والحسان فى الرياض، ومثّله فى الجليل الله سبحانه وتعالى. وانظر إليه يقارن بين الاثنين. يقول:

مصباح قلبى يستمد الضياء * من طلعة الغيد ذوات البهاء

ويقول:

تخفى عن الناس سنا طلعتك * وكل مافى الكون من صنعتك
فأنت مجلاه وأنت الذى * ترى بديع الصنع فى آيتك

وعندما يتحدث الخيام عن جمال النساء يخص منهن الغيد الصبايا، ولا يصفهن بما يثير الشهوة، ويقول فى جمالهن أن له إشراقاً وضياء يستمد منه قلبه النور - فأى تسامٍ!! وعشقه للجمال هو عشق للمطلق. يقول:

القلب قد أضناه عشق الجمال * والصدر قد ضاق بما لايقال

وكأن الجميل هو الذى يحرك فيه فكرة الجمال !

وكما يتناقض الحق والباطل والصواب والخطأ، فكذلك يتضاد الجمال والقبح، وكلاهما عند الخيام قيمة جمالية، أحدهما قيمة موجبة، والآخر قيمة سالبة.

والقبح فى الوجود كالشر، كلاهما عرضى، لأنه كما لا يتصور صدور الشرّ عن واجب الوجود أى الله تعالى، فكذلك لا يتصور عنه صدور القبح. ولعل ذلك هو الرد على «الكوز» الذى يحتج على الخزّاف أنه خلقه على غير الشكل الذى عليه جنسه، وكأن الخيام يعطى من خلال احتجاج الكوز تعريفاً للقبح يعتبر من التعريفات الحديثة جداً.

وأيضا فإننا نفهم من نفس المشهد أن الخيام يقول إن القبح هو سوء الوظيفة المترتب على نقص الشكل.

ويعطى الخيام مثلاً آخر على القبح هو الكلام الباطل، ويعنى بذلك أن القبيح قد يكون

أيضا الموضوع الذى لا معنى له ولا محتوى.

والخيام فى المدرج الجمالى من مدارج معراجه الروحى يولى الشعر اهتماماً كبيرا، ويجعله من الموضوعات الكبرى التى تتصف بالجمال، ويستغنى به عن الزاد والأهل، ويساويه بالغناء والموسيقى، وهو مثلهما، فيه الإيقاع والتعبير.

والحب أيضا من موضوعات هذا المدرج، ويقترن بالشباب. يقول الخيام: اليوم قد طاب زمان الشباب وطابت النفس، فإذا انقضى الشباب واستحال ذكريات فإن حديثه فيه عن سِفْر الشباب. والصبا صدّاح، وله طير شادٍ، والشباب بستان. وأمّا الحب عند الشباب فله نار تمنع طيبَ المنام وراحة النفس ولذ الطعام.

والخيام يتمنى لنفسه العشق لأنه أقوى الحب، ومرتبته عنده أعلى من الزهد، ومقارنته به يعنى أنه يتحدث عن عشق خاص متسام - شىء يتخلل وجوده جميعه، وليس منه الجنس، فالجنس بمعيار الجمال مشين وقبيح، والخيام لهذا يؤثر التجرد على التأهل، وإذا خطر فى باله الجنس فإنه لا يذكر إلا البغىّ ، ويقول فيها» كل آن بصاحبٍ لك وَجْده»، وكأن الخيام يفرق بين الحب والجنس، ويجعل الثانى أدنى مرتبة، وهذا حق فالجنس غايته حفظ النوع، وهو من ثم لا شخصى، والإنسان فيه يستحيل إلى لُعبة فى يد العمليات البيولوجية.

والجنس أعمى لا يعرف التمييز ولا يرحم الذى يكتوى به، وبه كما يقول علماء النفس شىء هدّام للشخصية الإنسانية. أما الحب فشخصى وفردى، ولا يمكن أن يحل شخص آخر محل الحبيب أو الحبيبة، بينما الشهوة تقبل الاستبدال.

والجنس يقوىَ بالجنس. أما الحب فكلما اشتد فإنه يُضعف الشهوة، والمحب أقل إقبالا على الارتواء الجنسى، بل ربما يؤثر أن لا يمارس الجنس.

وفى الحب يهتم المحب بشخص ما وليس بأى شخص. والحب انتصار وتعالٍ على الجنس، وهو يخرج بالمحبين عن الابتذال، وفيه يجد الكثيرون طريقاً للتحرر من ابتذال الحياة.

والمحب يهفو فى الحب إلى اللانهائية، فإذا تحقق الحب ابتُذِل وبلغ النهائية، ومن أجل ذلك يتحدث الخيام عن الحب المطلق ويستبقيه للمدرج الثانى ثم الثالث عندما يجعله اندفاعا لبلوغ الجمال النموذجى فى الله تعالى، وانتصاراً على القبح الذى يسود العالم والعلاقات الإنسانية.

ولعل ما يدهشنا بشدة فى رباعيات المدرج الجمالى أن الخيام العالم يتحدث عن نفسه أو

عن بطله المزعوم فى الرباعيات بوصفه «موجوداً فى العالم»، ولا يتحدث عنه بوصفه «ذاتاً عارفة». ثم هو يتحدث عن «ذاته والعالم» بوصفهما كلاً فلا انفصال بين ذات وموضوع. وفلسفته التى يقول بها هى فلسفة «موجود»، ويقول فيها فى الرسالة الثالثة «الموجود هو موضوع الفلسفة»، ولعله لهذا نرى بطله لا يحاول الظهور بأنه إنسان اجتماعى أو تاريخى أو حتى فلسفى كما يقول عن نفسه فى إحدى الرباعيات، وإنما يؤكد نفسه وكموجود فقط، يشارك فى الوجود بأن يعيه وينفعل به ويفعل فيه، ويستشعر الجمال ويحب ويهوى. وهو كموجود ربما عليه أن يكون شاهداً على نفسه، والشهادة معناها الكشف والإفشاء، ولا يتم ذلك إلا باللغة، واللغة هى التى ستجعل وجوده منكشفاً فى حالة فعل. واللغة شرطه للوجود فى العالم، لأنه بها يتواصل ويخاطب ويتحاور ويسمّى الأشياء. وبلغة الشعر استطاع الخيام أن يجعل الوجود أجمل ويمكن أن يعُاش فيه، وأن يقنع الموجودين أن يكونوا أكثر إقبالا على معايشة وجودهم. واستطاع الخيام فعلا فى هذا المستوى الجمالى أن يعطينا صورة عن العالم أزهى وأشرق، وأن يرفع معنوياتنا.

*****

فإذا انتهينا من هذا المدرج الأول وبلغنا الحدّ فيه، فإننا نصل إلى قسم الرباعيات الأخلاقية، ولعلنا فى هذا القسم نجد المنظور الوجودى عند الخيام قد اختلف كثيراً حتى ليبدو أحيانا متصادماً مع منظوره السابق. والخيام فيه بعد أن كان يتحدث فى السابق بضمير المتكلم فيقول مثلاً «أنا الذى أبدعت»، أو يقول «دعنى»، أو ينسب إلى نفسه فيقول ملتاعاً «قلبى»، أو «وبى أشواق»، أو ينادى ربه قائلا «ربّى»، فإنه يتحدث الآن بضمير المخاطب فيقول مثلاً «اتسمع الديك»، أو «عَلاَم تشقَى»، أو «تحمّلْ الداء»، أو «لَيْتَك».

وتتلاشى فى هذا المدرج الذاتية التى كان عليها الخيام فى رباعياته الجمالية، من أجل أن يضع للحياة معنى مثالياً يتجاوز به الذاتية فى أى سلوك يوصف بالنفعية.

وفى هذا المدرج، يفقد الخيام نفسه ليكون الآخرون، ثم هو يكسب نفسه والآخرين، لأنه بالأخلاق يصير «فاعل أخلاق»، أو يصير «صانع قيمة»، ويمارس حريته هذه المرة فى اختيار القيم الأخلاقية، ولسوف تحمل القيم الأخلاقية دعوة منه للآخرين أن يقتنعوا بها ويمارسوها. وهو لأول مرة يمارس الفعل الغيرى بعد أن كان فعله فى المدرج الجمالى ذاتيا، ولايجد أنه، بأن يجعل الآخرين يفعلوا اختياراته، يفقدهم حرياتهم، فهو يريدهم أن يختاروا مثله فى حرية، وأن يتحملوا مسئولية اختياراتهم، وأن تكون لهم قوانينهم الأخلاقية البنّاءة التى تجعل من

الحياة شيئاً أفضل، ولايهم أن نخطىء، فالذى يخطىء هو الذى يفعل، ومن ثم فهو الموجود.

وكان قاضى المدرج الجمالى هو الوجدان، وهو فى المدرج الأخلاقى الوجدان والعقل، فالإنسان يدرك القيم الأخلاقية بالحِسّ الباطن والحس الظاهر، والطفل يدرك المعانى الكلية، وكذلك يدركها الراشد وإن تباينا. والأخلاق الوضعية مستوى سيؤدى بالخيام فى العاجل إلى نوع أخر من الأخلاق، أو أنه سيتدرج بالقارىء من الوضعية إلى اللاهوتية، وسيتأدى به فى معراجه إلى صاحب الأخلاق اللاهوتية وهو الله.

وسيزيّن الخيام فى هذا المدرج الأخلاق التى مصدرها الإنسان، وسيقول للقارىء: إن أسعد الخلْق هو قليل الفضول، ولاشىء يبقى من الإنسان إلاّ طيب العمل، وسينصحه بالتسليم فمحو الذى خطت يد المقدار أمر محال. وسيقول له انفرد بشقائك، ولا تلتمس المعرفة التى تورّث حمل الهموم، واعلم أن الأفضل فى الدنيا فى كل ماتنوى وماتعمل أن لا تتخذ كل الورى صاحباً، وأن لا تكثر من الأصدقاء، ولا تأمل الخِلّ المقيم الوفاء فإنما أنت بدنيا الرياء، واعدل مع الظالم مهما ظلم، وعِشْ راضياً واهجر دواعى الألم، وتحمّل الداء ولا تلتمس له الدواء، وكُنْ كبير الرجاء أنك يوما ستنال الشفاء، واشكر على الفقر الذى إن يَرِد تصبح موفور الغنى والثراء.

وقد يظن القارىء أن المدرج الأخلاقى يعارض ويضاد المدرج الجمالى، مع أن الأخلاق تطوير للحس الجمالى، وتهديف لهذا الحس، وإلاّ فالحس الأخلاقى هو نفسه الحس الجمالى فى طوْر مستجد.

والأخلاق جمع خُلُق وهو السجية والعادة والطبع، ويردها البعض إلى مَلَكَة أو حس تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف، فغير الراسخ من صفات النفس كغضب الحليم لا يكون خُلُقاً، وكذا الراسخ الذى يكون مبدأ للأفعال النفسية بعُسرٍ وتأمل، كالبخيل إذا حاول الكَرَم. وكذا ماتكون نسبته إلى الفعل والترك على السواء. والأخلاق هى علم السلوك، وموضوعه الفضائل والرذائل، أى الأفعال الجميلة والقبيحة، وهذا المدرج إذن هو مواصلة للمدرج الجمالى وليس انقطاعاً له وبداية أخرى كما قد يبدو.

ويقسّم البعض الأخلاق إلى نظرية وعملية، والأولى علم معيارى، والثانية هى تطبيقاته. وربما كان الخيام فى رباعياته يتحدث فى الأخلاق النظرية ويقنن السلوك، ولكننا أيضا من توصيف الآخرين لسلوكه عرفنا فيه الدماثة والود وطيب القلب والعقل الراجح. وأحسب أن القفطى وهو يؤرخ له فينقل عن آخرين أنه كان «سىء الخلُق» إنما كان يصدر حكما عنه من

الرباعيات المزنولة التى انتُحلت على الخيام، وإلاّ فما الذى يمكن أن يصفه به مؤلف كتاب «تاريخ الحكماء» إذا قرأ أو سمع عنه هذه الرباعية «القبيحة» التى يجعلنا مافيها من فاحش القول نعتقد أنها ليست للخيام، ويقول الشطران الثالث والرابع منها «أنا لاجُرْم لى خلافاً للشرع سوى الغدر واللواطة والزنا» !!

ومثلما يتحدث الخيام فى الجمال والقبح، فإنه يتحدث كذلك فى الأخلاق المستحسنة والأخرى المستهجنه. والفضائل تقابلها الرذائل. وكما قال فى رسالته عن الشر فإن الخير هو الغالب فى الدنيا، وفى مقابل شر واحد هناك مليون خير. وكذلك فى الجمال والقبح فإن القبيح فى الخِلْقة أو الخُلُق يقابله ألف ألف جميل، ولهذا فإن الخيام لا يتأسّى كثيراً للقبح أو للرذيلة فى الدنيا، ويطلب من مريديه أن يدعوا عنهم تخوفهم ويهنأوا إن أساء الدهر.

وفلسفة الهناء التى ينسبها إليه الآخرون، أو اللذة كما يسمونها أحيانا، ينبغى أن نفهمها من هذا المنطلق وليس بمعنى الإباحية، فالشرير الواحد، والقبيح الواحد، لا ينبغى أن يجعلنا نستشعر الشقاء، وشعار الخيام «إفعل الخير والقه فى البحر»، وسامح فليس ثمة من يخلو من خطيئة، ولا تأخذنّ بالمظاهر فلربما يكون تحت جبة العالم فاسق، ولربما يكون من ترتاب فيه هو أفضل الناس!

لا تنظـرن إلـى الفتـى وفنونـه
وانظـر لحفظ عهـوده ووفائـه
فإذا رأيت المرء قـام بعهده
فاحسِبْه فاقَ الكل فى عليائه

ولا يعنى الخيام فى هذا المدرج إلاّ الإنسان نفسه دون بهرجة وزواق، ويبحث فيه عن إنسانيته، وعن الباطن وليس الظاهر:

قال شيخ لمومس أنت سكـرى
كل آن بصاحـبٍ لـك وَجْـد
فأجابت إنـى كـما قلت لكن
أنت حقا كما لدى الناس تبدو؟

وما يعنيه من الإنسان هو حضوره وقُربه وملاؤه. والرفاق هم حقاً الإنسان، وهم الجلساء والخلاّن والنشاوَى والأخيار.

*****

ثم نأتى إلى المدرج الثالث والأخير، وتشرحه رباعياته من المستوى الدينى، والتزامه الأخلاق الدنيوية العملية يتأدّى به إلى الأخلاق اللاهوتية، فقد أدرك أن الأخلاق الوضعية نسبية ، ويريد أخلاقاً تتميز بالثبات. والأخلاق اللاهوتية تلزم الجميع لأن مصدرها المتعالى - الله. وأيضا فإن بحثه عن «الإنسان» يدفع به إلى العلو، فالإنسان وحده لا يكفى ولا يساوى شيئا، والتحقق لن يكون بالإنسان الإنسان ولكن بالمتعالى، ففيه وحده الحقيقة وثبات الوجود، وفيه السلام وأصل وغاية الإنسان.

والإنسان كما يرى الخيام أهم المخلوقات وأعلاها شأنا، وعلوّه اكتسبه من قُربه من المبدأ الأول. والإنسان بحكم وجوده الماهوى الممكن متعال. والدين يهئ للإنسان تجربة الحضور المتجسد المتعالى، ولكنه لو اقتصر على الدين وحده يفقد انفتاحه على الوجود ويغلق على نفسه ويحصرها فى المعرفة الضيقة المكتفية بالدين.

ولكى تظل للإنسان هذه الإشراقة وذلك الانفتاح ينبغى أن يكون للدين وعى الفلسفة. ولكى يكون للفلسفة محتوى أو دلالة ينبغى أن تكون مادتها هى مادة الدين. والفلسفة لا يجب أن تتنكر للدين وإن بدا أنه المقابل للفلسفة. ولا يمكن أن ترجو الفلسفة أن تحل محل الدين، أو تنافسه، أو أن تدعو لنفسها على حسابه، بل الواجب أن تؤكد الفلسفة الدين، فلو لم يكن الدين هو حياة البشر لما وُجدت الفلسفة أصلاً، لأن الأساس فى الفلسفة هو التَفَكُّر فى الخالق والموجد من عدم والواهب للحياة - وهو الرب المجيد، عالم الأسرار، الرحمن الرحيم الغفّار.

وأهل الفلسفةعند الخيام هم «أهل الأنفس الباصرة»، وتفكيرهم «فى ذاته القادرة»، وهم من ذاته «حيرى كهذه الأنجم الحائرة».

والفلاسفة أو أهل البصائر، لذلك، لن يبحثوا عن المتعالى فى الرؤَى الدينية، وإنما سيجهدون ويجاهدون لكى يلامسوا «الوجود» ويعيشوه منفتحين على العلو.

وكما بحث الخيام عن هذا العلو فى «الإنسان الإنسان» فى المدرج الأخلاقى، فإنه سيبحث فى المدرج الدينى عن العلو - لا فى براهين العقل المثبتة لوجود الله، ولا فى التشوقات الصوفية - ولكن فى بيان عدم اكتمال العالم وعدم اكتمال الإنسان.

ولو حاولنا إثبات وجود الله بالدلالات المادية لفشلنا أيضا، والممكن - والممكن فقط - هو

إثبات وجوده عن طريق التعالى، أى طلب اللانهائى. يقول:

يارب فى فهمك حـار البشـر * وقصـرّ العـاجز والمقتـدر
تبعث نـجواك وتبدو لهـم * وهم بلا سمع يعى أو بصـر
بينى وبين النفس حرب سجال * وأنت يـاربى شديد المحـال

*****

أوجدتنى يارب من عدم ولى
أسديت فضلاً مـا له مقـدار
عُذرى بأنى عند حُكمك عاجز
ما دام يوما من ثراى غُبار

وأشعار الخيام فى المدرج الدينى إما تفلسف دينى وإما ابتهالات واعتذارات ومناجيات. وفى هذا المدرج يتجرد عن الدنيا، ويزهد فيها، ويفضح زخارفها، وينتابه الاشمئزاز من مُتعها وواجباتها وأخلاق أهلها والرياء الذى يحكمهم.

وفى هذا المدرج يُدْبِرُ الخيام عن الماضى، ويُسقط الحاضر، ويستقبل الآخرة، ويستشرف لقاء الله، ويستوحى الحضرة الإلهية ويعيشها فى محبة. ألَمْ يقل الإمام الشعراوى إنّ الله لايريد رقاباً خاضعة وإنما قلوبٌ خاشعة ملؤها المحبة والعشق له؟ - فهذا هو الخيام يتوسل إليه بالزهد، ويتطهر بالتقوى، ويلجأ للصلاة والحج كما يقول القفطى - أدّى الحج وعاد إلى بلده من البيت إلى الجامع، ومن الجامع إلى البيت، وقد أغلق بابه دون الصحاب - **لأن الحج فيه العودة إلى الله، والصلاة تدنيه من المتعالى، وتفتح قلبه على الحضرة الإلهية، فيفنى فيها ويستحيل كلاً مع الله، فلا يعود هناك خيام، ولا أنا ولا أنت... لقد عاد كما تعود القطرة إلى بحرها... يقول:**

إن تفصل القطرة من بحـرها * ففـى مـداه منتهـى أمرهـا
تقاربتْ يـارب ما بيننـا * مسافـة البعـد علـى قدرهـا

*****

وإنما الدنيـــا خيـــال يـــزول * وأمرنا فيها حـــديث يـــطول
مشرقهـــا بحـــر بعيــــد المـــدى * وفى مداه سيكون الأفـــول

*****

يا قلب إنْ ألقيتَ ثوب الفنـــاء * غدوتَ روحاً طاهراً فى السماء
مقامك العرش تـــرى حطّـــة * أنك فى الأرض أطلت البقـــاء

ومقام المحبة الذى يبلغه الخيام يشبه فيه رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهى التى تقول:

قد هجرت الخلق جميعا أرتجى * منك وصلاً فهو أقصى منيتى

والخيام يقول:

كـيف يحوم القلب يوماً على
غيرك أو يبغى هوى غير هواك
إن دموعـــى لـــم تـــدع لحظـــة
عينـــى تـــرنو لحبيب ســـواك

*****

رحم الله الخيام رحمة واسعة!!

*****